Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:13, N°:2 – 2023, P.P:30-45

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 13 ، العدد 2- 2023 ، ص.ص:30-45

العمل كبعد وجودي يؤسس لماهية الفرد

Work as an existential dimension establishes the identity of the individual

أسماء مصباح

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر) asma.mesbaiah@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام : 2023/02/08 ؛ تاريخ القبول : 2023/04/29 ؛ تاريخ النشر : 2023/05/20

الملخص

اهتمت الفلسفة بتسليط الضوء على أبرز القضايا التي تمس الإنسان في جوهره، خاصة في الفترة المعاصرة نظرا للتطور العلمي وآثاره على حياة الفرد وشخصيته، ويعتبر العمل من أبرز المحاور التي يرتكز عليها كيان الفرد من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، ما جعله محل دراسة لعدة تخصصات.

ما يدفعنا للتساؤل عن القيمة الفلسفية للعمل بأعين وجودية، محاولين كشف علاقته بتحقيق ذاتية الفرد وبلوغ حقيقته ، وذلك بالإجابة عن الإشكال التالي : إلى أي مدى يساهم العمل في كشف حقيقة الفرد ؟ وكيف تجاوزت الوجودية الطرح الكلاسيكي لقيمة العمل مؤسسة لفلسفة فعل وعمل جديدة ؟ متبعين في ذلك المنهج التحليلي المقارن .

الكلمات المفتاحية: العمل، ذات، الفرد، ماهية.

Abstract

Work is one of the most prominent axes on which the individual's entity is based in all aspects, which made it the subject of study for several disciplines, which lead us to question the philosophical value of work, especially in the existential philosophy trying to reveal the existential dimension of work and its relationship to the realization of the individual's self and achieving his truth, by answering this problem: Does work contribute to revealing the truth of the individual? how did existentialism transcend the classic proposition of the value of work as a foundation for a new philosophy of action?

Keywords : Existentialism. Individual. Truth.

1.مقدمة:

تميزت الفلسفة المعاصرة بالتمرد على النزعة المثالية، وذلك برفض النزعة العقلية التي هيمنت على الفكر الفلسفي لزمن طويل جدا انغلق فيه على فكرة المطلق ، وكان السبيل الوحيد للتخلص من سلبيات هذا الموقف الاتجاه إلى الواقع وإلى الإنسان، ما فتح الباب أمام العديد من المذاهب المعاصرة لتسليط الضوء على مواضيع مختلفة من شأنها إحياء الإنسان من جديد، ومن أبرزها الفلسفة الوجودية التي اعتبرت الفرد مركزا للدراسة كما أسس لها سورين كيركغارد والذي يذهب إلى انه من أهم المواضيع التي ترتبط بكينونة الفرد وجوهره هو العمل باعتباره الأداة الأهم في تكوين الفرد لماهيته ووجوده الخاص، وهو ما يتطلب إحاطة عامة بفلسفة الفعل لقيمتها البارزة في بناء الذات والإنسان الواعي بكيانه والذي تتحقق ذاته بفعل إرادته في تجدد واستمرارية ، وهو ما سنحاول توضيحه من خلال الإجابة على الإشكال التالي :

- **كيف يساهم العمل في تحقيق كينونة الفرد في نظر سورين كيركغارد؟**
- **إلى أي مدى استطاع سورين كيركغارد تقديم قراءة جديدة لفلسفة الفعل من خلال وجوديته؟ وهل تمكن حقا من تجاوز التأسيس الكلاسيكي لها؟**

في محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة إتباعنا المنهج التأويلي لفهم واستخلاص أبعاد مقولة الفعل والعمل في الفلسفة الوجودية ، وكذا المنهج التحليلي المقارن للوقوف على أهم مستجدات الطرح الكيركغاردي لسؤال الفعل مقارنة بالطرح الكلاسيكي الموضوعي، وذلك بهدف الإشارة إلى أهمية هذا الطرح الجديد الذي من شأنه أن يساعد على فهم الإنسان الفرد وطبيعته ، وهو ما يتبين لنا من خلال العناصر التالية :

1- ضبط مفاهيمي: أين سنعرض أهم التعريفات اللغوية والفلسفية لمفهومي الفعل والعمل في كبرى المعاجم .

2- التطور الفلسفي لتصور العمل :

ونعرج فيه على أهم إرهاصات وتجليات فلسفة الفعل والعمل في الفكر الفلسفي في الفترة اليونانية والفترة الحديثة ، كما نوضح نقطة التحول في التصور الفلسفي لطبيعة الفعل والعمل في الفلسفات المعاصرة خاصة الوجودية، من كونه مرتبطا بالعقل والتجريد إلى تصوره محركا أساسيا للحياة الواقعية للإنسان.

3- قراءة كيركغاردية لفلسفة الفعل : أين نركز على أهمية العمل في بناء الإنسان الوجودي خاصة عند كيركغارد باعتباره الأب الروحي للوجودية، وكذا امتداد هذا التحليل عند بعض الوجوديين ممن جاؤوا بعده، هذا مع محاولة توضيح الترابط بين تحليلهم للفعل وقيمته في المنظور الفلسفي وبين المقولات الأساسية للوجودية .

2. ضبط مفاهيمي:

لا يمكننا الحديث عن العمل وتعريفه دون الوقوف على تعريف الفعل، والذي سيتقاطع استعمالها في باقي عناصر الورقة البحثية نظرا لتقاربهما من الناحية الأداتية والفلسفية، إلا أنه لابد من الإشارة إلى الحد الفاصل بين العمل وبين الفعل، إذ يتفق أغلب المعاصرين على أن العمل يختلف عن الفعل، ذلك لأن العمل فاعلية بشرية واعية إجبارية تهدف إلى إحداث تغيير نافع ، بينما الفعل لا يكون بالضرورة واعيا أو إلزاميا كردود الأفعال مثلا ، وعليه نخلص إلى أن كل عمل هو فعل وليس كل فعل عملا(فريدمان ونافيل ، 1985،ص11) ، هذا ويوضح لالاند في موسوعته الفرق بين الفعل (Acte) والعمل (Action)، إذ يدل هذا الأخير على " عملية يجريها الكائن، وتعتبر من نتاجه بالذات، لا من نتاج علة خارجية "(لالاند،2001 . مادة عمل Action، ص 23) .

بصورة عامة ينظر للعمل على أنه حركة أو نشاط يقوم به الإنسان لتحويل المادة من صورتها غير النافعة التي يريدها، حسب وسائله وغاياته/ مستخدما قواه الجسمية والعقلية معا، مؤثرا في الطبيعة ومتأثرا بها(عدناني ،1988-1989،ص248) .

1.2. الفعل في القاموس الفرنسي :

نجد في المتن الفرنسي معاني اصطلاحية متعددة للفعل ، وفيما يتماشى مع طرحنا نجد : أن الفعل ملكة نشاط أو حركة ، وإظهار الإرادة في إنجاز ما ، كما يعني كذلك ما يمكن أن نحدثه وهو إظهار ملموس للإرادة ، والفعل هنا يدل على الحدوث الواقعي ، كما تدل لفظة الفعل كذلك على التأثير الناتج عن شيء ما أو عن فرد يؤثر بطريقة حتمية .
(Larousse., 2001. Articl : act)

2.2. الفعل في موسوعة لالاند :

يوضح أندريه لالاند معاني عدة للفعل في تخصصات مختلفة كعلم النفس،الأخلاق،الوجود والاجتماع ، ويذهب إلى أن لفظة الفعل « تستعمل للتعبير عن التغير في ثلاث لحظات : ما يمكنه أن يكون ممكننا–a–، وما هو على وشك الحدوث –b–، الحادث–c–، فإن عبارة بالفعل تنطبق أولا على اللحظة –b– مقابل اللحظة –a– التي تدل عليها عبارة بالقوة من جهة ، ومن جهة ثانية اللحظة– c– أي الوجود المتحقق والمديد، الناجم عن هذا التغير »(لالاند. ،2001 .مادة فعل Acte، ص20.)

كما تنطبق كلمة فعل وفق لالاند للتعبير عن الحادث ما هو معروض كواقع وما يشكل تعينا حاضرا أو خاصية فعلية يمكن اعتمادها كمعطى، وبهذا المعنى لا تعود كلمة فعل تطبع حركة ولا تنقلا بل على العكس تشير إلى واقع معين (لالاند. ،2001 .مادة فعل Acte ،ص 21) .

3. التطور الفلسفي لتصور العمل :

عرفت كل فترة فلسفية تصورا بارزا للعمل انطلاقا من كونه قيمة أو أثر اجتماعي ، قبل أن ينظر إليه كبعد اقتصادي، هذا إذ تتجلى لنا القيمة الموضوعية للفعل في تصورات فلسفية كثيرة،

خاصة وأنها التوجه العام للفلسفات الكبرى حتى الفلسفة المعاصرة، وهو ما يدفعنا إلى توضيح الأبعاد العقلية والموضوعية للفعل من خلال:

1.3. التصور اليوناني :

يذهب أفلاطون في جمهوريته إلى أن العمل هو أساس بناء المدينة عن طريق تقسيمه لحاجيات الإنسان الأساسية والتي يتم توفيرها بثلاثة طرق والأفضل فيها حسبه هي تلك التي تقوم على التقسيم الاجتماعي للعمل، بتفويض أفراد للقيام بأنشطة وتلبية حاجيات معينة ، وبالتالي فإن أفلاطون يرى أن الهدف النهائي للعمل هو تلبية حاجة طبيعة فقط، ومن هنا نظرته إلى العمل كخدمة يقدمها المنتج للمستعمل، إن هدف مجتمع المدينة الفاضلة إنتاج قيم استعمال ذات جودة عليا.

أما أرسطو يعتبر العمل إكراه طبيعي ، والعمل اليدوي على وجه الخصوص يخلو من أي قيمة اجتماعية، فللإنسان في الحياة وظيفة أساسية هي تحصيل الفضيلة، ويتم ذلك عن طريق البحث الفلسفي والاشتغال بالسياسة بأشمل معانيها، أما تلبية الحاجيات والعمل فهو للطبقة الأدنى ، فكان ينظر له بصورة عامة نظرة ازدراء واستحقار.

هذا و يمكننا أن نتلمس بوادر فلسفة الفعل في الفترة اليونانية من خلال جهود فلاسفتها الأوائل في إرساء القواعد الأخلاقية التي تسير الإنسان أمثال **أنكسمندر و هرقليطس** و **أنباذوقليدس** وغيرهم، إلا أن التأسيس الواضح لها كان بداية مع **سقراط** أين عرُف مفهوم الفعل في فلسفة سقراط بلفظة البراكسيس والتي تدل على مدى مطابقة القول للعمل، وذلك في نقد صريح منه لأساليب السوفسطائين التي يستعملونها للمغالطة وخداع الناس، ما دفع بسقراط إلى مواجهتهم و تبيان كذبهم من خلال انتهاج مبدأ البراكسيس على كل ضروب أفعاله، فسعى إلى توطيد دعائمه في كل تصرفاته اليومية، وفي توسيع دائرة الممارسة حتى تطال الصداقة، الروح، الكلام...، فقد كان: "يعالج الروح بواسطة الكلام "(حداد الشامخ ، 1980، ص 89) .

أما بالنسبة لأفلاطون وأرسطو فإن فلسفة الفعل عندهما لم تخرج عن هاجس البحث في الأخلاق، ما يجعل نظرتهما للفعل غير شاملة لكل جوانبه ، فنجد مثلا أن أرسطو يورد في نص ما وراء الطبيعة الوارد في الفقرة هـ معنيان رئيسان للفعل وهما(لالاند. ،2001،ص19-20.) :

- الفعل كممارسة الفاعلية بالذات : في مقابل قوة الفعالية أين يميز ارسطو بين الفعالية التي تنزع نحو هدف خارجي ، والفعالية التي هي غاية نفسها .
- الفعل هو الصورة : في مقابل المادة، فالصورة بالنسبة إلى الفاعلية هي قوتها .

2.3. التصور الحديث:

يشير الفعل في الفلسفة الحديثة إلى مجموع الخصائص التي تميز الإنسان عن الحوادث الطبيعية والبيولوجية، ويرتبط هذا التصور بتطور مجالي العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، أين أصبح مفهوم الفعل محلا لتصورات مختلفة في الفترة الحديثة باختلاف مباحثها، فنظرت إليه البيولوجيا على أنه نتيجة ارتباطات عصبية وآليات عضوية، أين يكون الفعل منعكسا لأي حادث أو طارئ خارجي، كما جعلت منه الدراسات اللغوية محورا للدراسة من خلال نظرية أفعال الكلام التي وضعها أوستين والذي أعطاه بعدا لسانيا، ومفاد النظرية المختصر أن الفعل هو أداة تحليل العلامات اللسانية، من حيث أن النشاط الممكن انجازه بتلفظنا لنوع من الجمل(أوستن، 1991 ،ص7) ' فالفعل الكلامي الذي نستعمله في جمل، هو الذي يحدد لنا معناها .

أما من الناحية الفلسفية فيعتبر رونيه ديكارت الواضع الأساسي لفلسفة الفعل في الخطاب الأوربي ، من خلال الكوجيتو – أنا أفكر إذا أنا موجود–، والذي أعطى بذلك التفكير كفعل يقوم به الإنسان، أهمية كبيرة في تحديد واثبات وجوده الخاص، وعلى غرار مذهبه العام، أضفى ديكارت على الفعل قيمة عقلية، باعتبار العقل هو أساس عملية التفكير، كما احتلت فلسفة الفعل مكانة عميقة في جهود الفلاسفة والفيزيائين من خلال دراسة شروط التأثير والتأثر وفي غيرها من الاتجاهات الفكرية الحديثة .

أثر هيجل أيضا على مفهوم الفعل من خلال فلسفته المثالية التي تأسس لمسار تاريخي يكون المطلق هو نهايته، كما جعل العقل يسطر على التاريخ، وأن الفعل هو الأساس لكل تطور تاريخي، يكون بذلك للفعل بعد عقلي في فلسفة هيجل وتصوره .

كما أعطى لمفهوم "العمل" معنى بعيدا وذلك في كتابه La phénoménologie de l'esprit (1807). ففي الفصل المعنون "جدل السيد والعبد" يعرف هيجل العمل باعتباره إنتاجا للإنسان بواسطة الإنسان، أين اهتم بإظهار الكيفية التي ينتقل بها الفرد من مجرد الشعور بالوجود Sentiment de soi إلى الإحساس بالذات Conscience de soi، أي إلى الاعتراف به كإنسان أو الانتقال من درجة الحيوانية إلى درجة الإنسانية.

3.3. التصور المعاصر:

إن الواضح مما ورد سابقا أن الجهود الفلسفية الأولى في بناء فلسفة للفعل على أسس موضوعية، كان الهدف الأساسي منها استعمال الفعل كأداة ابستيمولوجية توضيحية لعلاقة الفهم بالتفسير، و إبراز البعد العقلي الذي يكتسي طابع الفعل من خلال جعله أساس كل نسق يمكن أن يكون .

هذا التصور يتعارض بوضوح مع المنحى العام للفلسفة المعاصرة ، والتي حملت على عاتقها رفع قيمة الإنسان بعدما ضاع أمام التطور العلمي، واختزاله وحياته مقابل الآلات المختلفة، وذلك من خلال إعادة فهم النظريات وصياغتها ببعد إنساني بحت، على غرار تصور فلسفة الفعل، والتي تبرز في التصور المعاصر من خلال أبعاد أنطولوجية تأكد خصوصية الفعل الإنساني، وتبحث في فهم معناه بالنسبة للذات التي تقوم به، أين تدرس الفلسفة المعاصرة الفعل كمصدر لا كنتيجة، وتقوّمه أساسا على ذاتية الفرد ، فالفعل هو المحرك الأساسي للحياة الإنسانية، لذا لا ينبغي فهمه أو تفسيره بعيدا عن الحياة الواقعية المعيشة للإنسان .

العمل من وجهة نظر معاصرة هو ما اجتمعت فيه صفات الفعل،الوعي،الإلزام والمنفعة (Didier ,1978,p304) ، وهو ما ركزت مدارس عدة من الفلسفة المعاصرة على إبراز هذه القراءة

الجديدة لفلسفة الفعل، ونذكر منها باختصار تلك التي تتعلق بالفعل مباشرة في تسميتها أو أساسها، كالفلسفة البراغماتية التي تعتبر أساسا فلسفة فعل(مع احترام الفرق الموضح سابقا بين الفعل والعمل)، أين تقدس هذه الأخيرة الفعل كونه الموجه الأساسي للإنسان في بلوغ أهدافه، وتركز البراغماتية على الفعل النافع ، فمصداقية الفكرة حسبها ، تتعلق بما تقدمه من أفعال نافعة ومفيدة كنتائج من شأنها تغيير الواقع المعاش للأحسن، وتحقيق غايات قيمة في وقت قصير .

يؤكد هوسرل مؤسس الظواهرية أن التفسير العقلي الموضعي لا ينتهي بالضرورة إلى فهم طبيعة الفعل الحقة، خاصة وأنه مرتبط بمتغير هو الإنسان، فلا ينبغي لنا دراسة المتغير في العلوم الإنسانية دراسة موضوعية التي تحيل إلى الثبات، فطبيعة الفعل في الأجسام المادية والقوانين التي تنجم عنه لا تتطابق مع طبيعة الفعل الإنساني، ما يدفعنا إلى تفسيرها بأسلوب مختلف عن التفسير العقلي الموضوعي، ففي نظره يعود سبب و أساس أزمة العلوم إلى أزمة في الفهم الذاتي للإنسان (هوسرل، 1935،ص 478) الذي يريد الإحاطة نسقيًا بالمشاكل الأخيرة والعليا للعالم والوجود البشري.

يمكننا أن نلتمس رؤية لفلسفة الفعل عند هوسرل من خلال فكرته عن القصدية والتي يعتبرها سمة أساسية للشعور الخالص وهي قبلية فيه ، وتتمثل في فعل نزوع الذات نحو الموضوع، " فكل شعور هو شعور بشيء ما"، وكان للفعل القصدي في نظر هوسرل بعدا ابستيمولوجيا لتجاوز الشرخ الفلسفي الموجود بين الاتجاه العقلي المثالي والتجريبي في تحصيل المعرفة، كما أن الشعور القصدي أصبح هو الوسيلة الأمثل لدراسة العلوم الإنسانية وتحقيق الوجود الذاتي للإنسان، من خلال تجاربه المعيشة ، خاصة بعدما جعل قصدية الشعور تأخذ شكلا أكثر عمقا من المرحلة المنطقية وهو يقول في مقدمة الجزء الأول من أبحاث منطقية " انه لم يصبح راضيا عن النتائج السابقة التي توصل إليها في فلسفة الحساب و انه تحول إلى دراسة المنطق ليتوصل إلى مبادئ عقلية ثابتة و ذات طبيعة كلية . بحيث يمكن أن تؤسس عليها المعرفة الإنسانية عامة ".

أخـذت فكـرة القصـدية عنـد هوسـرل طابعـا فلسـفيا أكثـر جديـة و ابتكـارا ابتـداء مـن كتابـه "**افكارمنطقيـــة** " و انتهـاء بكتـاب" **تـــأملات ديكارتيـــة**" حيـث كانـت الفينومينولوجيـا ومنهجهـا قـد اكتمـل نضـجهما و تحـددت معالمهمـا بصـورة أوضـح عنـد هوسـرل و اتجـه بهمـا فـي طريـق المتعـالي و أقامهمـا علـى التحلـيلات الماهويـة للشـعور القصـدي الحـي و فـي هـذه المرحلـة الأخيـرة ربـط هوسـرل بـين قصـدية الشـعور و كـل الـردود المتعاليـة و الصـورية فـي محاولـة حـل مشـكلة المعرفـة و العلـو إلـى مـا فـوق الموقـف الطبيعـي و الموقـف المثـالي معـا باعتبار أن الشعور مجال محايد.

ومـن الطروحـات المتعلقـة بفلسـفة الفعـل فـي الفلسـفة المعاصـرة نجـد نظريـة الفعـل التواصـلي للفيلسـوف يـورغن هبرمـاس، أبـرز أقطـاب مدرسـة فرانكفـورت النقديـة فـي جيلهـا الثـاني، أيـن أكـد هبرمـاس علـى أن نظريـة الفعـل التواصـلي هـي البـديل الأفضـل للانسـداد الـذي سـببه العقـل الأداتـي وتجـاوز سـلبيات اسـتخداماته الإيديولوجيـة، التـي سـببت التشـيؤ والاغتـراب، رافضـا النقـد الـلاذع الـذي طـال العقـل و التطـور التقنـي، فبـالرغم مـن سـلبياته، إلا انـه لا يمكـن اختـزال فوائـده والتطـور الـذي قدمـه للبشـرية، فـأراد تغييـر العقـل مـن وظيفتـه المتعاليـة الترنسـندنتالية إلـى وظيفـة حواريـة تفاعليـة حركيـة، فـلا يمكننـا رفـض الحداثـة بعـد قـرنين مـن ظهورهـا بـل ينبغـي فـتح المجـال أمامهـا بأسـاليب تتماشـى مـع طبيعـة المجتمعـات ، وفـي هـذا يوضـح هبرمـاس أهميـة الفعـل التواصـلي فـي توجيـه مسـار الحداثـة ، خاصـة وانـه يقـوم أساسـا علـى التفاعـل الـذي يشـير إلـى ثنائيـة العلاقـة بـين طـرفين ، مـع التركيـز علـى ضـرورة اعتـراف كـل طـرف منهمـا بـالآخر، والـذي يحـدد البعـد التواصـلي للفعـل فـي نظـر هبرمـاس والـذي يـندرج فـي إطـار فلسـفة اللغـة، وهـو مـا نفهمـه مـن قولـه :" و أنـا أفهـم مـن جهـة ثانيـة تحـت مقولـة الفعـل التواصـلي تفـاعلا متوسـطا رمزيـا . هـذا التفاعـل يتكـون حسـب معـايير صـالحة إلزاميـا، تحـدد توقعـات سـلوكات متبادلـة، يجـب أن تفهـم ويعتـرف بهـا مـن قبـل ذاتـين فـاعلتين علـى أقـل تقـدير . والمعـايير الاجتماعيـة تـزداد قـوة مـن خـلال التوافقـات، علـى أن معناها يتموضع في التواصل عبر اللغة المتداولة "(Habermas ,1973.p22) .

4. قراءة كيركغاردية لفلسفة الفعل

أفضل تجسيد للقراءة المعاصرة لقيمة العمل الفلسفية و لفلسفة الفعل، والتي تهتم بدراسة أبعاده الأنطولوجية، ومحاولة فهم معناه بالنسبة للذات التي تقوم به، هو الفلسفة الوجودية، والتي أثرت بشدة في التوجه المعاصر بصورة عامة، خاصة وأنها انطلقت من اعتبار الفعل تأكيدا للكينونة الذاتية التي لا تتحقق من دونه، فيلعب بهذا الفعل دورا هاما في تحقيق الوجود الإنساني من خلال القرارات والاختيارات التي ينبغي على الفرد القيام بها لتحقيق امتلائه الوجودي الخاص.

كان **لسورين كيركغارد** الدور الكبير في إرساء دعائم هذا التحليل في الفلسفة الوجودية باعتباره الأب الروحي لها، فلقد أولى اهتمامه لدراسة الإنسان الفرد بعيدا عن تأثيرات المجتمع وتزيفاته، وهذا ما جعله ينتقد الاتجاه العقلي والمثالي السائد في عصره جراء تأثيرات فلسفة هيجل وشراحه، فأخذ على عاتقه محاولة إحياء ذاتية الفرد بعدما ضاعت في الكل المطلق الذي نادى به هيغل، مؤكدا مرار على أن الفرد المنفرد هو الوحيد الذي يساهم في تحريك التاريخ وفق ما يقوم به من خلال أفعاله الخاصة، والتي تمثل في الحقيقة هدفا بعيدا غير مقصود، على عكس الهدف الأساسي للفعل الذي يتمثل وفق كيركغارد في اكتشاف الذات وبنائها .

ترتبط مقولة الفعل في فلسفة كيركغارد، بأفكار أساسية تشكل البناء الوجودي بصورة عامة، فلا يمكننا فصلها أبدا عن آثار سيرورة العمل مثل الحرية، الاختيار، الفردية، الحقيقة، الذاتية ... ، فأن يفعل يعني أن يختار، ولا يمكن للفرد أن يختار إلا إذا كان حرا، فيكون بذلك مسؤولا عن أفعاله واختياراته التي ستعمل على بناء ماهيته وتشكيل وجوده الخاص، ومن هنا انبثقت الفكرة الأساسية للتيار الوجودي في كون " الوجود أسبق من الماهية "، إذ لا تتحقق الماهية إلا عن طريق الأفعال والاختيارات التي يقدم عليها الفرد أثناء بحثه عن الحقيقة التي تجد صداها في الذات، وهي الأساس الذي يسعى إليه كيركغارد من خلال قوله في يومياته " المهم أن أجد حقيقة ، حقيقة ولكن بالنسبة إلي، أن أجد تلك الفكرة التي أعيش و أموت من أجلها " (فريتيوف.2009. ص 14.)

تتضح قيمة الفعل و أهميته في فلسفة كيركغارد من خلال مدارج الوجود، أين يلعب الفعل الدور الحاسم في تقرير مصير الإنسان وتشكيل كينونته والارتقاء به من مدرج إلى آخر قصد بلوغ الحقيقة وبناء ذاتيته الخاصة ، مرورا بالمراحل التالية :

1.4. المدرج الجمالي :

يكتسي الفعل في هذه المرحلة بعدا حسيا، إذ ترتكز أفعال الرجل الحسي على ما يحقق له اللّذة ويشبعها، بعيدا عن الالتزامات والقوانين التي تقيده، بل يعيش فيه ضائعا غير قادر على اتخاذ أي قرار بمفرده، فتطمس حريته وإرادته الذاتية، وبعد مدة من الزمن يشعر "الدون جوان" بالضياع الذي يعيشه ما يدفعه إلى التأمل كفعل أساسي ينقله إلى مرحلة البحث عن الممكنات التي يمكن تحقيقها والتي تتسع دون أن تصير شيئا واقعيا(كيركغارد. 2013 . ص54) ، فيعيش بين عيش المتناهي أو التأمل في اللامتناهي، فلا تصبح هناك أهمية للذات الموجودة العينية نظرا للتهرب من مسؤولية اتخاذ القرار، ما يضع الفرد أمام أزمة يأس والتي ينبثق منها الخلاص من خلال "قفزة" للانتقال من مملكة الممكنات إلى تحقيق وجوده الخاص .

2.4. المدرج الأخلاقي:

يلعب الفعل دورا حاسما في هذه المرحلة فهو خلاص الفرد من الملاخوريا التي يعيشها في نهاية المرحلة الحسية التي تسبب له حالة من اليأس، وفي وسط هذا التأزم، يظهر وعي الفرد باستقلاله عن العالم الخارجي واقعيا، من خلال ما يقدم عليه من أفعال وقرارات ناتجة عن اختياره بين سبيلين، ويمتاز الفعل في المرحلة الثانية للوجود حسب كيركغارد أنه فعل أخلاقي، أين يجد الفرد نفسه مقدما على تطبيق واحترام قوانين اجتماعية وأخلاقية تجعل منه فردا مسؤولا اتجاه نفسه وعائلته، ولعل أبرز فعل يدل على هذا هو "الزواج" الذي يحمل معنى الارتباط الدائم والالتزام اتجاهه.

يمتاز الفعل في المرحلة الأخلاقية بكونه فعلا قصديا، إذ يعتمد على الوعي الأخلاقي قصد بناء الذات التي تجمع بين الواقع والممكن، ويقوم أساسا على مقولة الحرية التي تسمح له بالاختيار الذي يخرجه عن سيطرة المجتمع والحشود من ناحية ، كما تعزز فيه روح المسؤولية من جهة أخرى، فتلعب بذلك الذكرى والتكرار دورا كبيرا في حياة الرجل الأخلاقي، الذي يصبح أكثر شجاعة في تحمل مسؤولياته فيجد في استقامته الهدوء الداخلي وهدوء الضمير، فيجد الفرد في التزامه بالفعل الأخلاقي معنى الوجود(بدوي ، 1984،ص 48) .

يعيش الفرد في هذه المرحلة ضريبة فعل الاختيار الذي يعيشه في قلق، فيما إذا كان اختار الأصح أم لا، ولا يمكن للفرد تجاوز ضغط هذه المرحلة الأخلاقية إلا بإقدامه على القفزة الأخيرة التي تدخله المدرج الديني ، وتضعه في مواجهة للمطلق .

3.4. المدرج الديني:

يبلغ العمل الإنساني أرقى مستوياته وأنضجها في المرحلة الأخيرة، أين تتحقق القيمة الوجودية للفعل من خلال القفزة الأخيرة التي يقدم عليها الفرد المنفرد اتجاه الله، أين تتوحد ذاتيته بالمطلق، فيكتنه الحقيقة في جوانية خالصة، ويرتبط الفعل الديني– أساس الوجود الحقيقي – بمجموعة من المقولات التي تشكله كفعل المحبة، وفعل التضحية ، اللّذان يلعبان دورا هاما في تحديد مفهوم الفعل الديني الذي يؤسس للوجود الحقيقي .

لا يمكن للفرد المضي قدما نحو إدراك ماهية الوجود والحقيقة دون فعل المحبة، والذي يضع الفرد أمام ضرورة اختيار قاسية بين ما يحبه وبين ما يهدف إليه، وبين الفاني والأبدي، ومن خلال الاختيار الزمني ، تُنشئ الذات التي سيُحكم عليها إلى الأبد (McDonald, 2017) ، و سيلجأ الرجل الديني دائما إلى ممارسة فعل التضحية على أمل أن ينال الضعف لامتثاله للأمر الإلهي وتطبيقه وإيثاره عن الهوى .

يورد كيركغارد في كتاباته المتأخرة– خاصة – تمظهرات كثيرة لفعلي المحبة والتضحية في أمثولات متعددة مثل إقدام سيدنا إبراهيم على التضحية بأحد أبنائه في جبل المريا (كيركغارد،1983،

ص ص 26–29) ، أين نجد أن هذا النوع من الأفعال يتعارض مع القوانين المنطقية والاجتماعية، كما لا يمكن فهمها أخلاقيا(EVANS, 2009.p103) ، وهنا تبرز أهمية الفعل الديني كصورة للإذعان للأمر الإلهي بغية اكتناه الحقيقية والوصول إلى الوجود الحق دون تردد او اعتراض.

يؤكد كيركغارد على كون الفعل الديني فعل فردي ، ولا يمكن أن يكون نتاج الجماعة ، فالله لا يكون طرفا في علاقة متسعة بل ثنائية أين لا يتوسط الله الحشود ، كما أن الإله الشخصي لا يمكن أن يكون وسيطا لعلاقة غير مشخصة(Kierkegaard, 1944, p66.) ، و بهذا يعتبر كيركغارد الايمان من مقولة العزم والعمل على طبق ما يمليه الإيمان (أكبري ، 2016. ص 172).

على ضوء ما سبق يتبين لنا أن العمل في الفلسفة الوجودية لا يكتسي بعدا وظيفيا فقط كما تنظر له مختلف التخصصات ، وإنما يعتبر وسيلة لتحقيق الوجود العيني وامتلائه فهو يحتوي الانسان كله ويحقق ماهيته مايؤكد الفكرة الوجودية في كون الوجود أسبق من الماهية ، وأن الانسان ليس جوهرا جاهزا بل يمتاز بالديناميكية والتغير، وكل فعل يقوم به يحقق شخصيته. مايؤكد القيمة الوجودية للعمل ، فالانسان ليس مجرد كائن وظيفي بل انه انسان فاعل(علي عبد المعطي محمد..2000.ص 311.) في يده التغيير والبناء ، فالفعل الإنساني هو الذي يحدد الذات ويحققها في الوجود، وليس ثمة انسان بدون فعل.

5. الخاتمة :

في ختام المقال يتبين لنا أن العمل بصورة عامة هو قيمة إنسانية تؤثر في حياة الفرد خاصة وأنه مظهر يميزه عن باقي الكائنات ، كما أن أساس تركيزنا في عرض الإطار التاريخي لتطور تصور العمل وعلاقته بفلسفة الفعل، هو تتبع مسار هذا التخصص، والتأكيد على أن قيمته الفلسفية وليدة الفلسفة المعاصرة بالرغم من إرهاصاته الأولى في الفلسفات القديمة والحديثة، وتبيان أهم تأويلات العمل والفعل وقراءاته المختلفة لدى بعض المدارس الفلسفية المعاصرة، التي تؤكد على أهمية العقل العملي، وركزنا في مقالنا على الفلسفة الوجودية من خلال فلسفة أبيها الروحي سورين

كيركغارد، لتبيان القيمة الوجودية للفعل، وأهميته في بناء الإنسان وتحديد ماهيته، انطلاقا من الواقع المعاش للإنسان، و بعيدا عن تجريدات العالم العقلي، أين انتقد كيركغارد بشدة هذا الاتجاه مؤكدا أن الوجود الإنساني مرتبط بما يقدم عليه من أفعال تنبع من حريته الخاصة وقدرته على اتخاذ القرارات التي ستحدد هويته وذاتيته، والتي تعتبر أبرز قيمة معاصرة يسعى إليها الإنسان بصورة عامة، ولقد توسع الوجوديون بعده في إرساء هذا البعد من خلال توجهاتهم النسقية ، أمثال سارتر الذي اعتبر أن فعل الإعدام الوجودي هو أساس بناء الذات، أين يقوم هذا الفعل في نظر سارتر على قيمة النقص ، وهو ما عبر عنه في قوله "إن ما هو من أجل ذاته لا يمكن أن يحتمل الإعدام دون أن يحدد نفسه كنقص في الوجود، ومعنى هذا الإعدام أن لا يتطابق مع مجرد إدخال الخلاء في الشعور، والموجود الخارجي لم يطرد ما هو في ذاته من الشعور، بل ما هو من أجل ذاته يتحدد دائما بأن يكون ما هو في ذاته. وهذا معناه أنه لا يمكن أن يؤسس ذاته إلا ابتداء مما هو في ذاته، وضد ما هو في ذاته" (جان بول سارتر. 1966. ص170.) ، فحتى يبرز الفعل الوجودي في النقص والإعدام ينبغي للإنسان أن يكون على مسافة بينه وبين ذاته ما يسمح له باكتشاف نقائصه و استكمالها لبناء وجوده الأرقى، ونيتشه الذي يعتبر الفعل وسيلة وفنا لتحقيق الذات ، وغيرهم ....

وفي الأخير يتأكد لنا التصور الكيركغاردي لقيمة الفعل الوجودية من خلال نقطة مركزية مفادها أن ماهية الفرد ليست ماهية جاهزة وكاملة ، بل هي ذاتية قيد التحقيق، إذ يواجه الفرد في مسار حياته عدة اختيارات لابد له من إتباع إحداها في سبيل اكتمال ذاته ، فأي فعل يقدم عليه يقربه خطوة من امتلائه الوجودي ويميزه عن غيره من الذاتيات الأخرى التي تؤول إلى العدم باعتبارها إمكانيات ساقطة لم يخترها ولم يعمل بها ، ما يوضح ارتباط القيمة الوجودية للفعل في نظر كيركغارد بمجموعة من المقولات الأساسية في فلسفته والتي لا تعدوا أن تكون في واقع الأمر سوى مجموعة من الأفعال التي يقدم عليها الفرد في سعيه لتحقيق وجوده الخاص وذاتيته المنفردة كما أشرنا سابقا وأبرز هذه الأفعال : الاختيار، التضحية، الإيمان ، مؤسسا بذلك قراءة جديدة لفلسفة الفعل وقيمة للعمل بعيدا عن التجريدات الموضوعية الكلاسيكية التي اختزلته في القيمة الابيبستيمية وحتى الدراسات الحديثة التي ربطته بالاقتصاد وعالم المال.

6. قائمة المراجع :

- أكبري رضا .**النزعة الإيمانية عند كيركغارد** ، ترجمة حسن الهاشمي ، في كتاب الحب والإيمان عند كيركغارد، مركز دراسات فلسفة الدين و دار التنوير للطباعة والنشر (بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين و دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2016) .
- أوستن . **نظرية أفعال الكلام العامة –كيف ننجز الأشياء بالكلام –** ترجمة عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق (الدار البيضاء: افريقيا الشرق ،1991)
- بدوي عبد الرحمان . **دراسات في الفلسفة الوجودية** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، 1984).
- حداد الشامخ فاطمة ، **الفلسفة النسقية ونسق الفلسفة السياسية عند سبينوزا**، ترجمة جلال الدين سعيد، دار سيناترا (تونس: دار سيناترا ، 1980).
- سارتر جان بول. الوجود والعدم، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الآداب ، (بيروت: منشورات دار الآداب ، ط1، 1966).
- عبد المعطي محمد علي.سورين كيركجارد مؤسس الوجودية المسيحية، منشأة المعارف (الاسكندرية: منشأة المعارف ، 2000) .
- عدناني عبد القادر ، الفلسفة لطلاب البكالوريا،الشغل والتنظيم الاقتصادي،وزارة التربية الوطنية،المعهد التربوي الوطني (الجزائر: المعهد التربوي الوطني ،1988–1989)
- فريتيوف برانت. **كيركغارد** . ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، نشر وتوزيع دار الكلمة ، (مصر: نشر وتوزيع دار الكلمة ، ط1،2009) .
- فريدمان جورج ، نافيل بيار ، رسالة في سوسيولوجيا العمل، منشورات عويدات وديوان المطبوعات الجامعية(بيروت –الجزائر: منشورات عويدات وديوان المطبوعات الجامعية ، ج1،1985).
- كيركغارد سورين . **المرض طريق الموت** ،ترجمة أسامة القفاش ، نشر وتوزيع مكتبة دار الكلمة (نشر وتوزيع مكتبة دار الكلمة ، ط1، 2013).

- كيركغارد سورين . **خوف و رعدة،** ترجمة فؤاد كمال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع ،1983).
- لالاند أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات (بيروت –باريس: منشورات عويدات ، ط2،2001).
- هوسرل إدموند، **أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية**، ترجمة: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة (بيروت–لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط1،2008.) .
- C. STEPHEN EVANS .***KIERKEGAARD – An Introduction***, Cambridge University Press (New York: Cambridge University Press 2009).
- Habermas J .***la technique et la science comme idéologie*** , Gallimard,(paris : Gallimard ,1973).
- Julia Didier ,Dictionnaire de philosophie,Librairie Larousse(Paris : Librairie Larousse,1978).
- Larousse. ***Dictionnaire encyclopédique pour la maitrise de la langue française et la culture classique et contemporaine***, ,(Paris,2001) .
- McDonald William,(2017), ***"Søren Kierkegaard",*** *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Winter 2017 Edition), Edward N. Zalta (ed.),URL=https plato.stanford.edu/archives/win2017/entries/kierkegaard:// />.
- Soren Kierkegaard. ***Attack upon Christendom***. Translated by Walter Lowrie, Oxford university press (U.S.A: Oxford university press , 1944).